الجمهورية الماليزيا
وزارة التعليم العالي
كلية الدعوة وأصول الدين
جامعة المدينة العالمية

بحث

(ارتباط الأخلاق الفاضلة بالدعوة)

(مشروع بحث هيكل (ج) مقدم لنيل درجة ماجستير في الدعوة)

إشراف: فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور محمد السيد إبراهيم البساطي

إعداد:

اسم الطالب: محمد شريف الإسلام بن محمد عبد الودود

قسم الدراسات العليا (ماجستير)

كلية الدعوة وأصول الدين

جامعة المدينة العالمية بماليزيا

رقم المرجعي: MDW111AL784

العام الجامعي: ١٤٣٤هـ الموافق ٢٠١٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

ارتباط الأخلاق الفاضلة بالدعوة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ[(١)] يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا[(٢)]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا[(٣)]

أما بعد :

الدعوة والأخلاق صنوان متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، فلا تصح الدعوة ولا ترشد وتكمل في أسلوبها وطريقة عرضها إلا بالأخلاق، ولا يثمر الخلق الفاضل إلا خيرا إذ يكون مدعاة إلى الرشد بطريق القدوة، فالخلق الفاضل موضوع الدعوة ومقصودها وغايتها ووسيلتها، وهو أيضا أسلوب في إيصال مضامين الدعوة إلى الناس.

والخلق الفاضل هو المجال الأكبر من مجالات الدعوة، فهو المطلب الأسسي للدعوة في مختلف مجالات الحياة المجال العقدي والاجتماعي والاقتصادي والفكري والسياسي والتربوي. بل إن الرسالة الخاتمة بغيرها من رسالات الله تعالى إنما انصبت نحو الأخلاق، فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) [(٤)].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء، الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب، الآية: (٧٠-٧١).

(٤) أحمد : المكثرين (٨٥٩٥).

وقال ابن عباس رضى الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأجود ما يكون في رمضان وقال أبو ذر رضى الله عنه لما بلغه مبعث النبي صلى الله عليه وسلم قال لأخيه اركب إلى هذا الوادي فاسمع من قوله فرجع فقال رأيته يأمر الأخلاق [1].

والدعوة في الأصل إنما تكون إلى تحقيق التوحيد لله تعالى والإخلاص له جل وعلا، والإخلاص أصل الأخلاق ومنبعها، (الإخلاص) ذلك الخلق العظيم من آثاره ما جاء في حديث عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا الله فيه) [2].

والدعاة ينظر إلى أقوالهم وأفعالهم يتأسى بهم العوام لذا يجب أن يكون موافقا في كل تصرفاته للشرع كي ينال أجر التبعة الحسنة ويحذر وبال التبعة السيئة فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا) [3].

والداعية يحمل رسالته في شخصيته وسمته وأسلوب تعامله مع الآخرين، فهو ذو هدف ومن ثم فينبغي أن يتفقد قوله وعمله وسمته وسائر تصرفاته.. ومما يستدل به على أهمية الخلق الحسن : أنها تعصم بإذن الله من الهلاك العام : فعن زينب بنت جحش رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول : (لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها قالت زينب بنت جحش فقلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث) [4]. والأخلاق صمام الأمان يعصم بإذن الله من الخبث لأنها تهدي للتي هي أقوم فهي الرشد وهي البر والإحسان.

---

(١) صحيح البخاري : المناقب (٣٨٦١) (٢٤٧٤).

(٢) صحيح مسلم : الجنائز (٩٤٨).

(٣) صحيح مسلم : العلم (٢٦٧٤).

(٤) متفق عليه- البخاري : الأنبياء (٣٣٤٦)، مسلم : الفتن (٢٨٨٠).

وقد اهتم السلف الصالح بالأخلاق اهتمامهم بالعقيدة ومن الآثار التي تؤثر عنهم في ذلك قول عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهم : (لكل شيء أساس، وأساس الإسلام حسن الخلق) [١].

وقال محمد بن علي بن الحسين رضى الله عنهم : (ما من عبادة أفضل من عفة بطن أو فرج، وما من شيء أحب إلى الله عز وجل من أن يسأل، وما يدفع القضاء إلا الدعاء وإن أسرع الخير ثوابا البر، وأسرع عقوبة البغي، وكفى بالمرء عيبا أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحول عنه، وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه) [٢].

أولا : موضوع البحث :

يتناول موضوع البحث **"ارتباط الأخلاق الفاضلة بالدعوة"** على ضوء الكتاب والسنة والجوانب التي تتعلق بالموضوع الذي يقوم في الإيضاح على ارتباط الأخلاق الفاضلة بالدعوة.

ثانيا : أسباب اختيار هذا الموضوع:

١- معظم الآيات في القرآن الكريم التي حثت على التحلي بالأخلاق الفاضلة بلغ العدد الإجمالي لآيات الأخلاق نحو الربع من عدد آي القرآن الكريم كله.

٢- أن الأخلاق في الشريعة الإسلامية هي إحدى أصوله الأربعة وهي على الترتيب : (الإيمان، والأخلاق، والعبادات، والمعاملات).

٣- لو نظرنا في أسباب انتشار الدعوة في العالم لوجدنا منها السبب الحقيقي هو الأخلاق الفاضلة.

٤- إنما كان دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأخلاق كما قال هو عن نفسه (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

٥- الدعوة والأخلاق صنوان متلازمان لا ينفك أحدهما عن الأخر، فلا تصح الدعوة إلا بالأخلاق الفاضلة.

---

(١) صفة الصفوة : (٢/١٠٤).

(٢) صفة الصفوة : (٢/١١١).

ثالثا : أهمية البحث:

تتبين أهمية موضوع البحث من خلال النقاط التالية :

١- أن الأخلاق هو الدين كما في قوله تعالى: (إنك لعلى خلق عظيم) أي على دين عظيم كما فسر ابن عباس رضى الله عنهما.

٢- سبب بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إنما كان لإتمام مكارم الأخلاق كما قال هو عن نفسه (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

٣- الخلق الفاضل هو مقصود الدعوة وموضوعها وغايتها ووسيلتها.

رابعا : أهداف البحث : يهدف البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

١- بيان أهمية الخلق الفاضل في الدعوة.

٢- بيان ارتباط الأخلاق بالدعوة بأنهما متلازمان.

٣- البيان بأن الأخلاق هو سر انتشار الإسلام.

٤- البيان بأن الخلق الفاضل هو مقصود الدعوة وموضوعها وغايتها ووسيلتها.

خامسا : حدود البحث:

يتناول البحث عن الخلق الفاضل و ارتباطه بالدعوة إلى الله تعالى.

سادسا : منهج البحث:

١- منهج البحث العلمي المستخدم في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي.

٢- سرت في بحثي على أصول منهج أهل السنة والجماعة.

٣- عزوت الآيات الكريمة إلى السور مع ترقيمها.

٤- خرجت الأحاديث النبوية الواردة في البحث.

٥- نسبة الأقوال إلى أصحابها.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل قبولا حسنا وأن يكرمنا برفقة النبـــيين والصديقين والشهداء والصالحين.

سابعا : تفصيل خطة البحث :

اشتمل البحث على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وفهارس المحتويات والمصادر والمراجع

فأما المقدمة فقد اشتملت على عدة النقاط وهذه النقاط تنحصر على ما يلي: ١- موضوع البحث ٢- أسباب اختيار الموضوع ٣- أهمية البحث ٤- أهداف البحث ٥- حدود البحث ٦- منهج البحث ٧- تفصيل خطة البحث .

تفصيل خطة البحث :

الفصل الأول : مفهوم الأخلاق الفاضلة وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : تعريف الأخلاق لغة واصطلاحا

المبحث الثاني : مفهوم الأخلاق في القرآن الكريم

المبحث الثالث: مفهوم الأخلاق في السنة المطهرة

الفصل الثاني : مفهوم الدعوة وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : تعريف الدعوة لغة واصطلاحا

المبحث الثاني : مفهوم الدعوة في القرآن الكريم

المبحث الثالث: مفهوم الدعوة في السنة المطهرة

الفصل الثالث : ارتباط الأخلاق الفاضلة بالدعوة وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول : الخلق الفاضل من مقاصد الدعوة

المبحث الثاني : حض النبي صلى الله عليه وسلم أمته على التحلي بمكارم الأخلاق

المبحث الثالث : الخلق الفاضل وسيلة من وسائل الدعوة مثل الصدق، البذل، الكرم، الشجاعة وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : الصدق

المطلب الثاني : الأمانة

المطلب الثالث: خلق الوفاء

المبحث الرابع : الخلق الفاضل أبرز مقومات الداعية مثل الإخلاص، المتابعة، الصبر...، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: الإخلاص

المطلب الثاني : التقوى

المطلب الثالث : الصبر

المطلب الرابع: الحلم والأناة

المطلب الخامس : الرفق

المطلب السادس : العفو والإعراض

المطلب السابع: التواضع وعدم الكبر

المبحث الخامس :أثر الأخلاق الفاضلة في نجاح الداعية وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الدعاة ألزم الناس بالأخلاق الكريمة

المطلب الثاني: استقامة الداعية وحسن سيرته أدعى إلى نجاحه في دعوته إلى الله

المطلب الثالث: صاحب الأخلاق الحسنة قدوة بذاته

المبحث السادس : أثار الأخلاق الفاضلة على المدعو المسلم وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الدلائل العملية لتأثر الصحابة بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

المطلب الثاني: الدلائل القولية لتأثر الصحابة بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

المبحث السابع : آثار الأخلاق الفاضلة على غير المسلمين وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أثر هرقل من خلق النبي صلى الله عليه وسلم وصفته على صحة رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق دعوته

المطلب الثاني: أثر صبره صلى الله عليه وسلم في جذب الناس إلى الإسلام

المطلب الثالث: أثر حلمه وعفوه صلى الله عليه وسلم

المطلب الرابع : أثر كرمه صلى الله عليه وسلم في تأليف القلوب عليه

الخاتمة : وفيها :

خلاصة البحث : ....

أهم نتائج البحث : ....

توصيات البحث : ....

الفهارس : وفيها

فهارس المصادر والمراجع : ....

فهارس المحتويات : ....

لا يفوتني أن أشكر الله العلى القدير على ما يسر لي من إعداد هذا البحث، ثم أشكر كل من مد لي يد العون والمساعدة بتوجيهاته خلال إعداد لهذا البحث، ولا أدعي أني وصلت بهذا البحث إلى درجة الكمال، ولكن حسبي أني اجتهدت، فإن وفقت فذلك من فضل الله وحده، وإن حصل خطأ أو تقصير فهذا من طبيعة البشر، وأرجو ممن وقف على شيئ من هذا أن يبادرني بالنصيحة، وأسأل الله تعالى أن يتقبل مني هذا الجهد، وأن يجعلـــه عمـــلا صالحا خالصا، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وختاما أتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور محمد السيد إبراهيم البساطي الذي منحني الكثير من وقته وجهده وعلمه رغم كثرة مشاغله وذلك بالبريد الإلكتـــروني والتواصل الاجتماعي"اسكيب" أسأل الله أن يجزئه عني خير الجزاء، وأن ينفع به الإســـلام والمسلمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل الأول
مفهوم الأخلاق الفاضلة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : تعريف الأخلاق لغة واصطلاحا

المبحث الثاني : مفهوم الأخلاق في القرآن الكريم

المبحث الثالث: مفهوم الأخلاق في السنة المطهرة

الفصل الأول

مفهوم الأخلاق الفاضلة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

تعريف الأخلاق لغة واصطلاحا:

أولا: تعريف الأخلاق لغة :

أخلاق جمع خلق، بضم الخاء المعجمة، وبضم اللام وبسكونها. والخلق يطلق على معان هي : الدين ، الطبع ، السجية ،[1] والمروءة ، مأخوذ من الخلق وهو التقدير . قال ابن الفارس [2] : ((الخاء واللام والقاف : أصلان، يدل أحدهما على تقدير الشيء والأخر على ملاسته، أما الأول فيقال فيه خلقت الأديم للسقاء إذا قدرته ... ومن ذلك : الخلق هي السجية ، لأن صاحبها قد قدر عليه ، وفلان خليق بكذا ، وأخلاق به ، وما أخلاقه أي هو ممن يقدر فيه ذلك ، والخلاق : النصيب ، لأنه قد قدر لكل أحد نصيبه . أما أصل الثاني فيقال فيه : صخرة خلقاء أي : ملساء ... ومن هذا الباب : أخلق الشيء وخلق وخلق إذا بلي ...))[3]

أو هو مأخوذ من الخلق بمعنى الإبداع من غير أصل ولا احتذاء .

---

(١)لسان العرب لابن المنظور (١٠/٨٦) والقاموس المحيط للفيروزأبادي (٣/ ٢٣٩) كلاهما في مادة الخلق .

(٢) هو أحمد بن فارس بن زكرياء القزوين من أئمة اللغة والأدب له معجم مقاييس اللغة ، مجمل اللغة وغيرهما ، توفي سنة ٣٩٥ هـ ، انظر بغية الوعاء في طبقات الغويين والنحاة للسيوطي ص (١٥٣).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٢/ ٢١٣- ٢١٤) .

قال الراغب : [1] في المفردات والخلق يقال في معنى المخلوق ، والخَلق والخلق في الأصل واحد كالشرب، والشرب، والصرم ، والصرم ، لكن خص الخَلق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر ، وخص الخلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة [2]

ثانيا: تعريف الأخلاق اصطلاحا:

عرف الجرجاني الخلق بأنه "عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويَّة، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خلقا حسنا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هى مصدر ذلك خلقا سيئا[3]

المبحث الثاني

مفهوم الأخلاق في القرآن الكريم:

القرآن الكريم فقد استعمل لفظ الخلق في موضعين منه :

الأول: في سورة الشعراء حيث قال الله سبحانه على لسانه (عاد) قوم (هود) عليه السلام في معرض ردهم المنكر على نبيهم حين دعاهم إلى الله تعالى، ورغبهم بثوابه وخوفهم من عقابه : قَالُوا سَوَاء عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ، إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ، وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ [4]

والثاني: في صدر سورة القلم، حين ذب الله عن نبيه المصطفى سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه، وأقسم على عصمته من الجنون ، وعلى كمال خلقه حيث قال سبحانه

---

(١) هو الحسن بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني ، كان أديبا من الحكماء العلماء الأئمة في ذلك ، له مؤلفات كثيرة منها المفردات .

(٢) المفردات في غريب القرآن ص (١٥٨) .

(٣) التعريفات للجرجاني ص (١٠١).

(٤)سورة الشعراء، الآية: (١٣٦-١٣٨).

: ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ، مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ، وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ، وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (١)

أما الألفاظ الأخرى المقاربة للفظ الخلق في المعنى فاستعمل منها : ((الدأب)) و((السنة)) و ((الفطرة)) وهي من الألفاظ التي تدل على معنى الخلق ، فالدأب : معناه العادة والشأن المستمرة دائما على حاله، وهو بمعنى الخلق الذي يصبح عادة في الإنسان لا يتغير ، وقد ورد أربع مرات في القرآن الكريم ، منها قوله تعالى : كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢) وقوله تعالى : مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ (٣)

وورد لفظ ((دأبا)) أي متتابعا وذلك في قوله تعالى : قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ (٤) وبلفظ ((دائبين)) أي : جاريين في فلكمها دائما لا يفترقان، وذلك في قوله تعالى : وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٥)

وأما السنة فمعناها : السيرة والطبيعة ، حميدة كانت أو ذميمة فهي بمعنى الخلق ، لأنه يصير طبعا للإنسان وهو مظهر سيرته وقد ورد استعمالها في القرآن الكريم سبع عشرة مرة منها قوله تعالى :

قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينِ (٦) وقوله تعالى : سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً (٧)

وأما الفطرة فهي بمعنى الخلقة وهذا من الألفاظ المرادفة للفظ الخلق، وقد ورد هذا اللفظ في قوله تعالى : فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ

(١) سورة القلم، الآية: (١-٤).
(٢) سورة آل عمران، الآية: (١١).
(٣) سورة غافر، الآية: (٣١).
(٤) سورة يوسف، الآية: (٤٧).
(٥) سورة إبراهيم، الآية: (٣٣).
(٦) سورة الأنفال، الآية: (٣٨).
(٧) سورة الأحزاب، الآية: (٦٢).

لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ [1]، والفطرة التي فطر الناس عليها هي دينه الحنيف كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما من مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"[2] وكما فطرهم على دينه الحنيف ، فقد فطرهم على الخير أو الشر ، والسعادة أو الشقاوة والطيابة أو الخباثة ، وهذا ما وقفت عليه مما جاء في القرآن الكريم في الدلالة على معنى الخلق بلفظها أو مقاربها[3]

المبحث الثالث

مفهوم الأخلاق في السنة المطهرة:

السنة المطهرة فقد ورد فيها استعمال لفظ "الخلق" أو "أخلاق" في أحاديث كثيرة في مقامات مختلفة:

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، وغيره قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)[4] وهذا حديث مدني صحيح ويدخل في هذا المعنى الصلاح والخير كله والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل فبذلك بعث ليتممه صلى الله عليه وسلم وقد قال العلماء إن أجمع آية للبر والفضل ومكارم الأخلاق قوله عز وجل {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون.[5]

وروينا عن عائشة ذكره ابن وهب وغيره أنها قالت مكارم الأخلاق صدق الحديث وصدق الناس وإعطاء السائل والمكافأة وحفظ الأمانة وصلة الرحم والتدمم للصاحب وقرى الضيف والحياء رأسها قالت وقد تكون مكارم الأخلاق في الرجل ولا تكون في ابنه

---

(١) سورة الروم، الآية: (٣٠).

(٢)أخرجه البخاري في تفسير الروم (١٤٣/٦).

(٣) ينظر أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة، الدكتور أحمد ابن عبد العزيز بن قاسم الحداد، الجزء الأول، ص (٥٥-٥٦).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣٨١).

(٥) سورة النحل، الآية: (٩٠).

وتكون في ابنه ولا تكون فيه وقد تكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله لمن أحب. وقد أحسن أبو العتاهية في قوله: ليس دنيا إلا بدين ... وليس الدين إلا مكارم الأخلاق(١)

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : لأَخِيهِ ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ ائْتِنِي فَانْطَلَقَ الأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ لَهُ رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ... (٢) وعن صفية بنت حيي قالت ما رأيت أحدا أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه و سلم وعند مسلم من حديث عائشة كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ويرضى لرضاه(٣)

(١) تمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، جزء (٢٤ ، ص ٣٣٤).

(٢) البخاري ، كتاب بدء الوحي ، جزء ٥ ص ٥٩ رقم الحديث (٣٨٦١).

(٣) فتح الباري لابن رجب ، قوله باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، جزء ١ ، ص (٥٥٧).

الفصل الثاني
مفهوم الدعوة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : تعريف الدعوة لغة واصطلاحا

المبحث الثاني : مفهوم الدعوة في القرآن الكريم

المبحث الثالث: مفهوم الدعوة في السنة المطهرة

الفصل الثاني

مفهوم الدعوة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

تعريف الدعوة لغة واصطلاحا:

أولا: تعريف الدعوة لغة:

للدعوة في اللغة العربية عدة مفاهيم واطلاقات، ذكرها علماء اللغة ودونوها في كتبهم ومن ذلك ما يلي :

يقول ابن فارس : (الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك) [1].

ويقول الجوهري : (دعوت فلاناً، أي : ناديته وصحت به واستدعيته، ودعوت الله له وعليه دعاء، والدعوة المرة الواحدة) [2].

ويقول الزمخشري : (دعوت فلاناً : ناديته وصحت به، والنبي داعي الله، وهم دعاة الحق ودعاة الباطل ودعاة الضلالة) [3].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٢٧٩/٢)، (مادة : دعا).

(٢) الصحاح، للجوهري : (٢٣٣٧/٦)، (مادة : دعا).

(٣) أساس البلاغة ، لجار الله الزمخشري (١٨٩/١)، (مادة : دع و).

ويقول الفيروز آبادي : (الدعاء : الرغبة إلى الله تعالى ، دعا دعاء ودعوى والدعاءة السبابة وهو مني دعوة الرجل أي قدر ما بيني وبينه ذاك ولهم الدعوة على غيرهم أي يبدأ بهم في الدعاء وتداعوا عليه تجمعوا، ودعاة ساقه... وادعى كذا زعم أن له حقا أو باطلاً والاسم الدعوة والدعاوة ويكسران [1]).

ويقول ابن منظور : (الدعوة : المرة الواحدة من الدعاء ....، ودعا الرجل دعواً ودعاء ناداه، والاسم : الدعوة. دعوت فلاناً أي : صحت واستدعيته... والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم داع، ورجل داعية : إذا يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة) [2].

وخلاصة القول : أن الدعوة لها في اللغة عدة معان، وهي مشتقة من الفعل دعا، ولاسم : الدعوة والقائم بها يسمى : داعية، وهي تفيد : إمالة شيء ما إليك بصوت وكلام يكون منك بحق أو باطل.

ثانيا: تعريف الدعوة شرعا:

هى دعاء المكلفين من الجن والإنس إلى عبادة الله تعالى وتقواه.[3]

المبحث الثاني
مفهوم الدعوة في القرآن الكريم:

ورد لفظ الدعوة في القرآن الكريم للدلالة على معاني متعددة منها:

١- معنى الطلب والاستغاثة : نحو قوله تعالى : (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[4]، وقوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[5].

(١) القاموس المحيط، (٣٢٧/٤)، (مادة : الدعاء).

(٢) لسان العرب، لابن منظور : (٩٨٦/١) ، (مادة : دعا).

(٣) تبصرة الهداة بشأن الدعوة والدعاة لفضيلة الشيخ عبد الله بن صالح القصير ص ٩

(٤) سورة البقرة ، الآية: (٢٣).

(٥) سورة الأنعام، الآية: (٤٠-٤١).

٢- **معنى العبادة** : نحو قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (١). وقوله تعالى : (وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (٢).

٣- **معنى القول** : نحو قوله تعالى: (فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) (٣). وقوله تعالى : (دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (٤).

٤- **معنى النداء** : قوله تعالى : (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ) (٥).

٥- **معنى السؤال** : نحو قوله تعالى : (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ) (٦). وقوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ) (٧).

٦- **معنى الجعل** : نحو قوله تعالى : (أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا) (٨).

٧- **النسبة** : نحو قوله تعالى : (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (٩).

٨- **معنى من الدعوة إلى الشيء بمعنى الحث على قصده:** نحو قوله تعالى : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (١٠).

---

(١) سورة الأعراف، الآية: (١٩٤).

(٢) سورة القصص، الآية: (٨٨).

(٣) سورة الأعراف، الآية: (٥).

(٤) سورة يونس، الآية: (١٠).

(٥) سورة القمر، الآية: (٦).

(٦) سورة البقرة، الآية: (٦٨).

(٧) سورة غافر، الآية: (٤٩).

(٨) سورة مريم، الآية: (٩١).

(٩) سورة الأحزاب، الآية: (٥).

(١٠) سورة النحل، الآية: (١٢٥).

وقوله تعالى : (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ) [١].

٩- معنى التسمية : نحو قوله تعالى : (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [٢].

١٠- معنى الرفعة : نحو قوله تعالى : (لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) [٣].

١١- معنى العرض : نحو قوله تعالى : (وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ) [٤] أي أعرضها عليكم.

١٢- معنى العذاب : نحو قوله تعالى : (تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى) [٥]. أي تعذب [٦].

المبحث الثالث

مفهوم الدعوة في السنة المطهرة:

عَنْ أَبِى مَسْعُودٍ الأَنْصَارِىِّ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ إِنِّى أُبْدِعَ بِى فَاحْمِلْنِى فَقَالَ « مَا عِنْدِى ». فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَدُلُّهُ عَلَى مَنْ يَحْمِلُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم « مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ »[٧].

---

(١) سورة يوسف، الآية: (٣٣).

(٢) سورة النور، الآية: (٦٣).

(٣) سورة غافر، الآية: (٤٣).

(٤) سورة غافر، الآية: (٤١)

(٥) سورة المعارج، الآية: (١٧).

(٦) الحكمة والموعظة الحسنة وآثارهما في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة لدكتور أحمد بن نافع بن سليمان المورعي، ص : (٢١-٢٢).

(٧) صحيح مسلم، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله : رقم الحديث (٥٠٠٧/٦)، ص : (٤١).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ[١].

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ : بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ [٢].

---

(١) متفق عليه : البخاري : الزكاة (١٣٩٥)، صحيح مسلم : الإيمان (١٩).

(٢) صحيح البخاري، الإيمان (٥٧).

الفصل الثالث

ارتباط الأخلاق الفاضلة بالدعوة

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول : الخلق الفاضل من مقاصد الدعوة

المبحث الثاني : حض النبي صلى الله عليه وسلم أمته على التحلي بمكارم الأخلاق

المبحث الثالث : الخلق الفاضل وسيلة من وسائل الدعوة مثل الصدق، البذل، الكرم....،

المبحث الرابع : الخلق الفاضل أبرز مقومات الداعية مثل الإخلاص، المتابعة، الصبر...،

المبحث الخامس :أثر الأخلاق الفاضلة في نجاح الداعية

المبحث السادس :آثار الأخلاق الفاضلة على المدعو المسلم

المبحث السابع : آثار الأخلاق الفاضلة على غير المسلمين

الفصل الثالث

ارتباط الأخلاق الفاضلة بالدعوة

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول

الخلق الفاضل من مقاصد الدعوة:

لقد من أجل غايات بعثة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إتمام مكارم الأخلاق كما اخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه فيما رواه عنه أبي هريرة رضى الله عنه رفعه إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق[١] وفي رواية : مكارم الأخلاق[٢] وفي رواية : "بعثت لأتمم حسن الأخلاق"[٣]

فترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قصر هدف بعثته في هذا الحديث على إتمام مكارم الأخلاق التي كانت الأنبياء قبله قد بعثت بها ، وبقيت منها بقية تحتاج إلى مزيد بيان بل ما بينته منها كانت الأمم قد ضلت عن كثير منها لا سيما الأمة العربية ، فبعث صلى الله عليه وسلم ليتمم محاسن الأخلاق ببيان ما ضلوا عنه ، وبما خص به في شريعته مما لم يكن قبله من مكارم الأخلاق .

وقد جاء في القرآن الكريم يؤكد هذا الأصل الأخلاقي في غير ما آية ، فقد قال جل شأنه : مَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ [٤] وقال سبحانه تعالى : لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ [٥] وقال عز وجل : هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي

(١) أخرجه احمد في المسند (٢/ ٣٨١)، ورجاله رجال الصحيح .

(٢) وهذا لفظ البزار كما حكاه عنه الهيثمي في المجمع .

(٣) وهذه رواية مالك في الموطأ (٢/ ٢١١) ، باب ما جاء في حسن الخلق.

(٤) سورة البقرة، الآية: (١٥١).

(٥) سورة آل عمران، الآية: (١٦٤).

الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ [١]

فيخبر الله تعلى في هذه الآيات أنه بعث نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم ليزكي عباده .

أي: يطهر هم من رذائل الأخلاق ودنس النفوس وأفعال الجاهلية التي كانوا قد تلبسوا بها بعد فترة من الرسل ، وذلك ما كان قد دعا به أبو الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيث دعا الله تعالى أن يبعث في الأمة رسولا من بعده يجدد دعوته ويحيي تزكيته كما قص الله تعالى ذلك عنه بقوله : رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ[٢]

فإذا كان من أعظم الغايات هو إتمام مكارم الأخلاق وتزكية الأمة فمعنى ذلك أن شريعته الغرا التي بعث بها ذات أسس أخلاقية عليها تقوم وبها تنفذ في كل جوانبها ، الإيمانية والتعبدية والتعاملية ، فلا يزكو إيمان ولا عبادة ولا عمل لم يكن مصبوغا بالصبغة الأخلاقية الفاضلة ، إذ ليس من خلق كريم ولا فعل جميل إلا وقد وصله الله بالدين[٣]

وقد بين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في جملة من الأحاديث التي ربط فيها بين الجوانب الإيمانية والتعبدية ، وبين السلوك الأخلاقية .

ولهذا حض النبي صلى الله عليه وسلم أمته على الالتزام بالأخلاق الفاضلة ورغبهم فيها ، وحذرهم من التخلق بالأخلاق السيئة ، وذلك بأفعاله وأقواله التي نذكر منها طرفا صالحا إن شاء الله تعالى . [٤]

المبحث الثاني

حض النبي صلى الله عليه وسلم أمته على التحلي بمكارم الأخلاق فمن ذلك :

(١) سورة الجمعة، الآية: (٢).

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٢٩).

(٣) كما قال ابن أبي الدنيا في مكارم الاخلاق ص (٤٤).

(٤) أخلاق النبي في القرآن والسنة لدكتور أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد ، جزء الأول، ص (٤٤– ٤٧).

١- عن مسروق رضى الله عنه قال: كنا جلوسا مع عبد الله بن عمرو ويحدثنا إذ قال "لم يكن رسول الله فاحشا ولا متفحشا وإنه كان يقول إن خياركم أحاسنكم أخلاقا"[١]

والحديث يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان داعية صدق إلى أنبل الأخلاق والأمة معينة باقتفاء نهج نبيها في السلوك الفعلي كما هي معينة بامتثال أقواله لقوله كما قال تعالى : " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا "[٢]

٢- عن أبي ذر جندب بن جنادة وأبي عبدالرحمن معاذ بن جبل رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن " [٣] فأوصاه بتقوى الله في معاملته لربه، ومعاملته للناس بأن يخالقهم بخلق حسن، وهنا في الحديث أوصاه بتقوى الله في خاصة نفسه، وأوصاه بمن معه من المسلمين خيراً، يعني: أنه يرفق بهم ويعاملهم المعاملة اللائقة بهم، ولا يسيء إليهم، بل يحسن إليهم.[٤]

٣- حديث أبي الدرداء رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق"، وهذا فيه إثبات الميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وهو يدل على عظيم شأن حسن الخلق وثوابه عند الله عز وجل، وأنه من أثقل ما يكون في الميزان عندما توزن الأعمال؛ لأنه من أجل وأفضل الأعمال.[٥]

٤- حَدِيثُ عَائِشَةَ فَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ ، وَقَالَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا وَلَفْظُهُ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ .[٦]

---

(١)عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، باب ما ينه عنه من السباب اللعن ، جزء ٢٣ رقم الحديث (٦٠٣٥، ص ٢٢٨).

(٢) سورة الأحزاب، الآية: (٢١).

(٣)رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن وفي بعض النسخ : حسن صحيح .

(٤)شرح سنن أبي داود ، عبد المحسن العباد ، جزء ١٤ ، ص (١٠١) .

(٥) شرح سنن أبي داود ، عبد المحسن العباد ، جزء ٢٤ ، ص (٤٢٩).

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي المؤلف : محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، باب ما جاء في حسن الخلق، جزء ٥، ص (٢٥٠) .

٥- حديث أنس رضى الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه و سلم أحسن الناس أي أحسنهم خلقا وخلقا وأجود الناس أي أكثرهم بذلا لما يقدر عليه وأشجع الناس أي أكثرهم إقداما مع عدم الفرار.[١]

٦- عن جابر رضى الله عنه رفعه إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا [٢]وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة في السنة المطهرة .

ففي هذه الأحاديث العظيمة حض عظيم على التحلي بمحاسن الأخلاق ، لما فيها من بيان لفضله وعظيم أجره ومترلته عند الله ، ولذلك لا يتولى المؤمن الحق عند سماعها ودرايتها عن المبادرة إلى التحلي بمحاسن الأخلاق حرصا على نيل فضلها ، وهي غيض مما حث به النبي صلى الله عليه وسلم أمته على لزوم مكارم الأخلاق التي بعث بتمامها والبعد عن مساوئها .

وقد علمت من خلالها ما للأخلاق الزاكية من مكانة في الإسلام حيث جعل النبي صلى الله عليه وسلم معيار الخيرية هو حسن الخلق ،[٣] بل إن الدين كله خلق كما فسر حبر الأمة عبد الله بن العباس رضى الله عنهما وذلك عند تفسيره لقوله تعالى في مدح نبيه صلى الله عليه وسلم "وإنك لعلى خلق عظيم" فقال أي على دين عظيم [٤] فسمى الدين كله خلقا.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، باب حسن الخلق والسخاء ،جزء ١٠ ، ص (٤٥٧) .

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري المؤلف : بدر الدين العيني الحنفي ، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل ، جزء ٣٢، ص (٢١٩).

(٣) بعد الإيمان بالله وملائكته ...الخ.

(٤)أخرجه ابن جرير في تفسيره ج (٢٩ /ص ١٨) .

المبحث الثالث

الخلق الفاضل وسيلة من وسائل الدعوة مثل الصدق، البذل، الكرم، الشجاع

وفيه ثلاثة مطالب:

نريد بالوسائل ما يستعين به الداعي على تبليغ الدعوة إلى الله على نحو نافع مثمر من الوسائل المهمة جداً في تبليغ الدعوة إلى الله وجذب الناس إلى الإسلام، السيرة الطيبة للداعي وأفعاله الحميدة وصفاته العالية وأخلاقه الزكية مما يجعله قدوة طيبة وأسوة حسنة لغيره، ويكون بها كالكتاب المفتوح يقرأ فيه الناس معاني الإسلام فيقبلون عليها وينجذبون إليها، لأن التأثر بالأفعال والسلوك أبلغ وأكثر من التأثر بالكلام فقط.

فإن الإسلام انتشر في كثير من بلاد الدنيا بالسيرة الطيبة للمسلمين التي كانت تجلب أنظار غير المسلمين وتحملهم على اعتناق الإسلام فالقدوة الحسنة التي يحققها الداعي بسيرته الطيبة هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام يستدل بها غير المسلم على أحقية الإسلام وانه من عند الله، لا سيما إذا كان سليم الفطرة سليم العقل. ومن السوابق القديمة في أهمية الأخلاق الحسنة للداعي وأثرها في تصديقه والإيمان بما يدعو إليه أن خديجة بنت خويلد رضى الله عنها عندما أخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدث له في غار حراء فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ،[1] في أوصاف أخر جميلة عدتها من أخلاقه تصديقاً منها له وإعانة على الحق"[2]

وروي أيضاً أن أعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: من أنت؟ قال أنا محمد بن عبد الله؟ قال الأعرابي أأنت الذي يقال عنك انك كذاب؟ فقال أنا الذي يزعمونني كذلك فقال الأعرابي: ليس هذا الوجه وجه كذاب، وما الذي تدعو إليه؟ فذكر

---

(١) الجامع الصحيح لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ) ، جزء الأول ، رقم الحديث ٣ ص ٣

(٢) أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ، ص (٥٤٩- ٥٥٠).

له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدعو إليه من أمور الإسلام فقال له الأعرابي آمنت بك وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فالأعرابي استدل بسمت رسول الله ووجهه المنير الكريم الذي يكون عليه أهل الصدق والأخلاق الكريمة، استدل بذلك على صدقه فيما يدعو إليه صلى الله عليه وسلم.

المطلب الأول

الصدق:

الصدق هو من ووسائل الدعوة فتمثل خلق الصدق في النبي صلى الله عليه وسلم وإذا كان الصدق خلقا تدعو إليه الفطرة وتحبذه، ولو يكن هناك شرع يدعو إليه ويرغب فيه، فإن كل ذي فطرة سليمة يحافظ عليه ويلتزم به في كل شؤونه.

وقد شهد له بهذا الخلق العظيم : الله خير الشاهدين، كما شهد له بذلك أعداؤه، وشهد له به المؤمنون في مواقف متعددة ومقامات مختلفة.

شهادة الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بخلق الصدق :

أما شهادة الله تعالى ليسدنا محمد صلى الله عليه وسلم بهذا الخلق العظيم بخصوصه، زيادة على شهادته سبحانه له بعظمة الأخلاق عامة.

ففي آيات من كتابه المبين منها قوله سبحانه : (وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ) (١). ، قوله : (وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (٢). والذي جاء بالصدق كما يدل سياق هذه الآية هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد شهد لما جاء به من عنده سبحانه

(١) سورة الأحزاب، الآية : (٢٢).

(٢) سورة الزمر، الآية : (٣٢).

أنه صدق، ويلزم من صدق ما أتى به، صدقه هو في نفسه، إذ لا يأتي بالصدق إلا كامل الصدق.

شهادة أعدائه صلى الله عليه وسلم له بالصدق :

أعداء النبي صلى الله عليه وسلم كانوا بهذه المثابة، حيث لم يقدروا على غمطه في أخلاقه العظيمة، بل اضطروا إلى والشهادة بها في مواقف عديدة، ولو قدروا على غمزه ولمزه بشيء ولو قليل في أخلاقه لكفاهم ذلك في صد الناس عن دعوته ويسر لهم الجهد الذي بذلوه في ذلك : فأبو سفيان لما سأله هرقل عن صدق وقال له : هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قال أبو سفيان : لا، هكذا يشهد له بهذه الحقيقة التي لا تغالب، فعندئذ قال له هرقل : " وسألتك هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ ؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس، ويكذب على الله" [(١)].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : : لَمَّا نَزَلَتْ {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} وَرَهْطَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ خَرَجَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا فَهَتَفَ يَا صَبَاحَاهْ فَقَالُوا مَنْ هَذَا فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ قَالُوا مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا قَالَ فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ [(٢)].

هكذا يعترف له قومه أجمعون بالصدق، وعدم عثورهم على ما يناقض هذا الخلق منه، وهم وإن لم يكونوا قد ناصبوه العداء آنذاك، إلا أن هذه الشهادة وغيرها طلت قائمة لا ينازعون فيها، و لم يسحبوها حينما جاهرهم بالدعوة فناصبوه العداء، وقد حرصوا بعد ذلك على صد الناس عن الإيمان كل الحرص، وبذلوا كل جهد، غير أنهم يقدروا أن ينالوا من صدقه وأمانته وعفافه...[(٣)]

(١) صحيح البخاري : كتاب بدء الوحي ص : (٥٦/٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب بدء الوحي ص : (٢٢١/٦).

(٣) ينظر أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة- لدكتور أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد، ص : (٤١٣/١-٤١٦).

المطلب الثاني

الأمانة:

تنويه القرآن الكريم بخلق الأمانة :

أما تنويه القرآن الكريم بهذا الخلق فهو تنويه عظيم دل على عظم مترلة الأمانة عند الله تعالى، وبالغ اثرها في استقامة المجتمع، ووضوح دلالتها على تحلي المرء بمكارم الأخلاق من عدمه وذلك في آيات كثيرة من الذكر الحكيم منها قوله تعالى:

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا(١)

فإن فهذه الآية من التنويه بالأمانة ما يجل عن الوصف، حيث أفادت أن السماوات والأرض والجبال، مع عظم أجرامها وبالغ ثقلها،وشدة قوتها، أبين حملها استصغار لأنفسهنّ عن حملها، وأشفقنا أي خفن من تحمل تبعاتها، وما ذلك ألا لإدراكهن أن تحملها عظيم خطره، وكبير تبعته.

تمثل خلق الأمانة في النبي صلى الله عليه وسلم :

نبينا محمد صلى اله عليه وسلم قد كان في ذروة الذري من هذه الأخلاق، وكماله فيها فاق كل كمال، كما تشهد لذلك الوقائع والدلائل الآتية : فقد نشأ يتيما مطبوعا على الصدق والأمانة لا يعرف لهما بديلا منذ نشأته وترعرعه، وهو لا يكاد يعرف في

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: (٧٢).

أوسط أقوامه غلا بالأمنين فيقولونك جاء أمين وذهب أمين [1] حتى حل محل الرضا من قلوبهم وعقولهم، كما دل على ذلك احتكامه غليه في قصة رفع الحجر الأسود عند بنائهم الكعبة المشرفة بعد تنازعهم في استحقاق شرف رفعه ووضعه في محله، حتى كادوا يقتتلوا لولا اتفاقهم على تحكيم أول داخل يدخل المسجد الحرم ، فكان ذلك الداخل هو محمد صلى الله عليه وسلم المرضى لديهم أجمعين ((فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا هذا محمد فلما انتهى إليهم، وأخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم هلم إلي ثوبا فأتي به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده الطاهرة، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه هو بيده ثم بنى عليه، قال ابن هشام : ((وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يترل عليه الوحي : الأمين)).

هكذا كان خلق الأمانة سببا لترشيح هذا الشاب اليتيم لحل فتنة كادت تشتعل بين بطون قريش فتودي بحياة كثير منهم لولا أن الحكمة أن العظيمة من صاحب الأمانة العظيمة أطفأها، وما كان لهذه الحكمة أن تبرز لو لم يكن خلق الأمانة قد مهد الطريق أمامها، مما جعلهم يرضون بحكمه دون أن يتسرب إليهم شك في محاباة أو مداهنة فئة على أخرى، لعلمهم بعظيم أمانته وثقتهم به.[2]

المطلب الثالث

خلق الوفاء:

فقد رغب الله تعالى بالوفاء بالعهود بما أعده الله لهم من الثواب وبما أثنى به عليهم في محكم الكتاب فقال: وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا[3] وقد فصل في آيات أخرى عظمة ذلك الأجر فقال: نَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ، الذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا

(١) أنظر سيرة ابن هشام (٢٠٧/١).

(٢) أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة لدكتور أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد ص: (٥٣١-٥٣٩).

(٣) سورة الفتح، الآية: (١٠).

يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ إلى قوله : أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ . جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ .سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ[1].

تمثل خلق الوفاء في النبي صلى الله عليه وسلم

لقد كان خلق الوفاء من أخلاق النبوة فما من نبي يصطفيه الله تعالى لنبوته ورسالته إلا غرس فيه من صفات الكمال ومعالي الأخلاق ما يكون بها جليلا في نفسه، وموضوع ثقة الناس به،ومصدر تأسيهم به، كما علمت مما قصه الله تعالى عن بعض أنبيائه كإبراهيم ويوسف عليهما السلام وما ثبت لنبي من خصال الكمال يثبت لغيره من الأنبياء، لأنهم جميعا في عناية الله ورعايته واصطفائه،وغرس خصال المكارم فيهم سواء، لذلك بعثوا كلهم بمكارم الأخلاق، وبعث سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليتم مكارمها.

وفاءه صلى الله عليه وسلم مع الله تعالى:

أما وفاءه عليه الصلاة والسلام مع الله تعالى، فهو وفاء عظيم بعهوده وطاعته، بامتثال أمره واجتناب نهيه. كما قال الله تعالى: وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ.[2]

وفاءه صلى الله عليه وسلم لأصحابه:

الدليل على ذلك كثير شهير منها :

وفاءه صلى الله عليه وسلم لحاطب بن أبي بلتعة رضى الله عنه مع فعلته الكبرى التي فعلها، وهي إفشاء سر رسول الله في أشد المواقف خطورة وهو موقف الغزو، الذي لا

(١) سورة الرعد، الآية: (١٩-٢٤).

(٢) سورة النحل، الآية: (٤٤)

تغفر البشرية لمثله ... فلما أطلع الله نبيه على ذلك، مكنه من إحباطه وراوده أصحابه منهم عمر رضى الله عنه في ضرب عنقه، قال عليه الصلاة والسلام : إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله اطّلع على من شهد بدرا فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم[1]

وفاءه صلى الله عليه وسلم لأزواجه:

وأما وفاءه صلى الله عليه وسلم لأزواجه فكان عظيما أيضا وشواهده كثيرة :فلما انزل الله تعالى آية التخيير وهي قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا . وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا.[2]

عندئذ بدأ فخير عائشة وطلب منها أن لا تستعجل حتى تستأمر أبوها، وذلك وفاء عظيم منه لهذه الزوجة التي هي حديثة السن فقد لا تدرك من هي في سنها مصلحتها الكاملة، وما هو خير لها وأبقى، فتغير بزينة الحياة الدنيا، فتخسر الدنيا والآخرة فقال لها : "لا عليك ان لا تعجلي حتى تستأمري أبويك" وقد علم أن أبويها لم يكونا يأمراها بفراقه لما يعلمانه من صالح أمرها عاجلا وآجلا، ولما اختارت الله ورسوله من غير أن تستأمر أبيها، بل قالت:"ففي لأي هذا استأمر أبوي:فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة" وقالت للنبي صلى الله عليه وسلم "أسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت" فلم يقبل منها عليه الصلاة والسلام هذا الطلب، بل وفّى لهن كلهنّ وقال:"لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها"[3].[4]

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة الفتح ١٨٤/٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: (٢٨-٢٩)

(٣) أخرجه البخاري في تفسير سورة الأحزاب ١٤٦/٦.

(٤) أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة ، لـــ د. أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد ص: ٥٦٢-٥٦٧.

المبحث الرابع

الخلق الفاضل أبرز مقومات الداعية مثل الإخلاص، المتابعة، الصبر...، وفيه سبعة مطالب:

للأخلاق أهمية بالغة في حياة الدعاة إلى الله تعالى والقائمين على إيصال الدعوة إلى الناس ، وذلك لأمر الله تعالى بها ، والالتزام النبي صلى الله عليه وسلم وتحليه بالأخلاق العالية والرفيعة، وتمسك السلف الصالح بالأخلاق الكريمة، وكذا لما يتطلبه العمل الدعوي من خلق رفيع وسجايا عالية وتعليل ذلك أن الدعية يخاطب جميع الناس على مختلف أشكالهم وألوانهم ولغاتهم وطبقاتهم مع تعدد أعرافهم وتقاليدهم وتنوع أخلاقهم وطباعهم ومدى استجابتهم للحق أو الوقوف ضده.

وأخلاق الداعي المسلم هي أخلاق الإسلام التي بينها الله تعالى في القرآن الكريم وفصلها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته، وانصبغ بها صحابته الكرام في سلوكهم وهي لازمة لكل مسلم،(١)

المطلب الأول

الإخلاص:

يقصد بالإخلاص لغة : الصفاء من الكدر والشوائب (٢)

وأما المقصود بالإخلاص اصطلاحا : فهو تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين (٣).

وقيل الإخلاص هو : التبري عن كل ما دون الله تعالى (٤).

وقيل الإخلاص : تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدر لصفاته (٥).

---

(١)أصول الدعوة عبد الكريم زيدان ص ٣٣٣ .

(٢) انظر : مختار الصحاح، للرازي ص : ١٨٤ (مادة : خلص).

(٣) مدارج السالكين للإمام ابن قيم الجوزية : (٩١/٢).

(٤) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني ص : (١٥٤).

(٥) التعريفات : للجرجاني ص : (٣٤).

والإخلاص روح الدين، ولباب العبادة، وأساس أي داع إلى الله، فإذا غاض هذا المعنى أو تضاءل لم يبق هناك ما يستحق الاحترام لا في الدنيا ولا في الآخرة [(١)].

والمتأمل في الإخلاص : يجده ثمرة الدين، وقلبه، وأساسه الذي يبنى عليه، فإذا صلح هذا الأساس فقد صلح البناء، وإذا فسد الأساس، فسد جميع ما انبنى عليه.

وقد أمر الله تعالى بالإخلاص في أكثر من آية ومن ذلك :

قوله تعالى : **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** [(٢)]

ومن السنة : ما رواه زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ثلاث لا يغل عليهم قلب امرئ مسلم : إخلاص العمل لله، والنصح لأئمة المسلمين ولزوم جماعتهم" [(٣)].

وعلى الداعية أن يراعي الإخلاص في قلبه، ويتفقد أحواله، ويعالج ما اعوج منه، ويصلح ما خرب منه وذلك عن طريق تصفية حظوظ النفس، وقطع الطمع عن الدنيا، والتجرد للآخرة، بحيث يغلب ذلك على القلب، ويصبح نقيا مثل الثلج، بعيدا كل البعد عن القلوب الشبيهة بالأكواز المجخية.

وخلاصة القول : إن الإخلاص : إن الإخلاص مطلب هام، وخلق أساس في حياة الداعية، وهو وإن لم تر حقيقته الخفائه، إلا إن آثاره خير شاهد عليه.

المطلب الثاني

---

(١) مع الله : دراسات في الدعوة ، محمد الغزالي ص : (٢٠٢).

(٢) سورة البينة، الآية : (٥).

(٣) سنن ابن ماجة (٨٤/١).

التقوى:

حقيقة التقوى : أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية، وذلك بإتباع أوامره واجتناب وإيصال القول للناس دون تحريف أو تزييف. ومن تقوى الداعية كذلك : حفظ الخير في الناس، وإرادة المعروف لمن يدعوهم، وتحذيرهم هم الشر، وعدم غشهم في ذلك، والحذر من التخليط عليه، كما يدخل في تقوى الداعية : التزامه بحقيقة منهج الدعوة، القويم، وعدم العدول عنه، أو استبداله بمناهج أخرى مبتدعة، ومخترعة من عند الناس، مهما تبرقت وتزينت، وادعت الادعاءات الكاذبة الخادعة. وغني عن القول : أن من أهم مطالب التقوى لدى الداعية ، التزامه بالحلال وبعده عن الحرام في كل الأحوال والأوقات والظروف، فهذا من أسباب النجاة والمخارج من المصاعب والمشكلات، كما أنه سبب عظيم في معية الله تعالى للداعية وتعليمه له، قال تعالى : فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا [1]

المطلب الثالث

الصبر:

يعرف الصبر بأنه : حبس النفس وكفها عن الجزع [2].

وأما في الاصطلاح فقد بتعاريف متعددة منها :

وقال الإمام ابن قيم الجوزية : (هو : حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش) [3].

---

(١) سورة الطلاق، الآية : (٢).

(٢) مختار الصحاح، للرازي ص : (٣٥٤) والمصباح المنير، للفيومي : (٣٩٢/١).

(٣) مدارج السالكين، للإمام ابن قيم الجوزية : (١٥٦/٢).

ويعتبر الصبر من أشهر الأخلاق الإسلامية، وأسمى المطالب الشرعية، وقد احتفى به القرآن الكريم والسنة النبوية، وتمثل به الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وبقية السلف الصالح، والعلماء الفضلاء والدعاة والنبلاء.

قال تعالى : فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ [(١)]

وعن أبي مالك الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن (أو تملأ) ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها) [(٢)].

المطلب الرابع

الحلم والأناة:

يعرف الحلم بأنه : الطمأنينة عند الغضب، وقيل، هو : تأخير مكافأة الظالم [(٣)] أما الأناة فهي : التثبت [(٤)].

والحلم والأناة من خلق الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ [(٥)]

وقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على من اتصف بالحلم والأناة وهو أشج عبد القيس بقوله : (إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة) [(٦)].

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: (٣٥).

(٢) صحيح مسلم، (٢٠٣/١).

(٣) التعريفات، للجرجاني، ص : (٩٢).

(٤) شرح النبوي على صحيح مسلم : (١٨٩)

(٥) سورة هود، الآية : (٧٥).

(٦) صحيح مسلم، (٤٨/١).

والداعية إلى الله تعالى بأمس الحاجة إلى التخلق بالحلم والأناة وعدم التسرع والطيش والعجلة.

ولهذا فإن الداعية الذي يتصف بالحلم والأناة يكون مرشدا يهدي إلى الخير، ونوراً يهدي إلى الرشد، فيستطيع أن يعالج أمراض النفوس وهو هادئ النفس، ومطمئن القلب، لا يستفزه الغضب، ولا يستثيره الحمق فتنفر منه القلوب، وتشمئز منه النفوس، بل يكون في مجتمعه كالأب العطوف، والأخ الشفوق، قدوته في ذلك إمام الداعين محمد صلى الله عليه وسلم [1].

المطلب الخامس

الرفق:

يعرف الرفق بأنه : لين الجانب، وهو خلاف العنف [2].

والرفق خلق إسلامي عظيم، وأدب جم رفيع، حري بكل داعية أن يتخلق ويتأدب به.

والمتأمل في حال الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يجد أنهم غاية في الترفق بالناس، واللين معهم، رجاء هدايتهم دخولهم في الدعوة.

قال تعالى : آمراً موسى وأخاه هارون عليهما السلام بالرفق واللين مع فرعون : اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى . فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى [3].

والمتأمل في أحوال كسب القلوب صلى الله عليه وسلم، ودانت النفوس، وأحبه الناس.

---

(١) انظر : الدعوة الإسلامية، د خليفة حسين العسال، ص : (١٣٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري (٢/٢٤٦).

(٣) سورة طه، الآية : (٤٣-٤٤)

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال، قام أعرابي فبال في السجد، فتناول الناس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "دعوه وهريقوا على بوله سجلا من ماء، أو ذنوباً من ماء فإنما بعثتم ميسرين، و لم تبعثوا معسرين" [١].

المطلب السادس

العفو والإعراض:

يعرف العفو بأنه : التجاوز عن الذنب، وقيل هو : إسقاط الحق الذي على الغير [٢].

وأما الإعراض فيعرف بأنه : الصد والتولي والإشاحة بالوجه [٣].

والعفو والإعراض خلقان إسلاميان عاليان تقتضيهما الحياة الاجتماعية السليمة الآمنة المطمئنة.

قال تعالى : خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ [٤]

يقول الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره للآية الكريمة : (خذ العفو) أي : من أخلاق الناس وأعمالهم واترك الغلظة عليهم، و (بالعرف) هو المعروف ومنه صلة رحم من قطع، وإعطاء من رحم، والعفو عمن ظلم، وكل ما أمر الله به من الأعمال، أو ندب إليه فهو من العرف، و لم يخصص الله من ذلك معنى دون بعض. وأما قوله : (وأعرض عن الجاهلين) فإنه أمر من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يعرض عمن جهل، وذلك وإن كان أمراً لنبيه، فإنه تأديب منه عز ذكره لخلقه باحتمال من ظلمهم أو اعتدى عليهم [٥].

(١) متفق عليه : صحيح البخاري : (٩١/١)، صحيح مسلم : (٢٣٦//١.)

(٢) معجم لغة الفقهاء، د محمد رواس قلعة جي وزميله، ص : (٣١٦)

(٣) معجم لغة الفقهاء، د محمد رواس قلعة جي وزميله، ص : (٧٧).

(٤) سورة الأعراف، الآية : (١٩٩).

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، لان جرير الطبري (١٥٢/٦-١٥٤)

ومما قاله الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره للآية الكريمة : (هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم) [1].

وقد حفلت حياة داعية الإسلام الأول محمد صلى الله عليه وسلم بكل معاني العفو والإعراض عن المعاندين والجاهلين.

المطلب السابع

التواضع وعدم الكبر:

التواضع ضد الكبر، وهو من جليل الخصال، وعظيم الأخلاق، وأبرز الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الدعاة إلى الله.

التواضع في الحقيقة هو : إلانة الجانب مع عزة في النفس وإباء للضيم، ومن التواضع عدم الافتخار بالآباء والأجداد، ومن التواضع عدم البغي والاعتداء [2].

وقد أمر الله تعالى بالتواضع، فقال سبحانه : وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ [3].

وكان صلى الله عليه وسلم متواضيا حتى أخجل تواضع الإنسانية، بعيداً كل البعد عن الكبر أو التجبر على الناس.

فعن عياض بن حمار رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد) [4].

والتواضع يزيد من رفعة الداعية وكل من يتحلى به ولا ينقص من قدرهم، أو يختزل من مكانتهم الاجتماعية.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، للشيخ عبد الرحمن بن سعدي، ص : (٣١٣).

(٢) صفات الدعاة، د. حمد بن ناصر العمار، ص : (٥٧).

(٣) سورة الشعراء، الآية : (٢١٥).

(٤) صحيح مسلم : (٢١٩٨/٤).

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما نقصت صدقة من مال،وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) [(١)].

والداعي إلى الله تعالى أحوج من غيره إلى خلق التواضع، فهو يخالط الناس ويدعوهم إلى الحق، وإلى أخلاق الإسلام فكيف يكون عارياً من التواضع.

المبحث الخامس

أثر الأخلاق الفاضلة في نجاح الداعية

وفيه ثلاثة مطالب:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يمتاز في قومه بخلال عذبة وأخلاق فاضلة، وشمائل كريمة، فكان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقًا، وأعزهم جوارًا، وأعظمهم حلمًا، وأصدقهم حديثًا، وألينهم عَرِيكة، وأعفهم نفسًا وأكرمهم خيرًا، وأبرهم عملًا، وأوفاهم عهدًا، وآمنهم أمانة حتى سماه قومه: (الأمين) لما جمع فيه من الأحوال الصالحة والخصال المرضية، وكان كما قالت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها؛ يحمل الكل، ويكسب المعدوم، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق.

المطلب الأول

الدعاة ألزم الناس بالأخلاق الكريمة:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يمتاز في قومه بخلال عذبة، وأخلاق فاضلة، وشمائل كريمة، فكان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقًا، وأعزهم جوارًا، وأعظمهم حلمًا، وأصدقهم حديثًا، وألينهم عَرِيكة، وأعفهم نفسًا وأكرمهم خيرًا، وأبرهم عملًا، وأوفاهم عهدًا، وآمنهم أمانة حتى سماه قومه: (الأمين) لما جمع فيه من الأحوال الصالحة والخصال

---

(١) صحيح مسلم : (٢٠٠١/٤).

المرضية، وكان كما قالت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها يحمل الكل، ويكسب المعدوم، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق[1].

المطلب الثاني

استقامة الداعية وحسن سيرته أدعى إلى نجاحه في دعوته إلى الله:

إذ لا يجد في الناس من يغمزه في سلوكه الشخصي قبل قيامه بالدعوة، وكثيرًا ما رأينا أناسًا قاموا بدعوة الإصلاح، وبخاصة إصلاح الأخلاق، وكان من أكبر العوامل في إعراض الناس عنهم ما يذكرونه لهم من ماض ملوث، وخلق غير مستقيم.

أما الداعية المستقيم في شبابه، فإنه يظل أبدًا رافع الرأس ناصع الجبين، لا يجد أعداء الإصلاح سبيلًا إلى غمزه بماض قريب أو بعيد، ولا يتخذون من هذا الماضي المنحرف تكأة للتشهير به، ودعوة الناس إلى الاستخفاف بشأنه، نعم إن الله يقبل توبة التائب المقبل عليه بصدق وإخلاص، ويمحو بحسناته الحاضرة سيئاته المنصرمة، ولكن هذا شيء غير الداعية الذي ينتظر لدعوته النجاح إذا استقامت سيرته وحسنت سمعته[2].

المطلب الثالث

صاحب الأخلاق الحسنة قدوة بذاته:

من أهم المهمات في عالم الدعوة إلى الله، صاحب الأخلاق الحسنة قدوة بذاته، أخلاقه تدعو الناس إلى الانجذاب نحوه، إن سَمته ليجذب من حوله فيأتون إليه، وهناك تكون الفرصة للتأثير أكثر مما لو ذهب إليهم، مع أنه ينبغي أن يأتيهم، فهذا الخلق هو الذي يجذب الناس كما تجذب الأزهار النحلة، وإذا أتي الداعية فإن المهمة تسهل عليه[3].

(١) الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، (ص:٥٣)، والحديث أخرجه البخاري، (٣) باب كيف كان بدء الوحي ..، وأخرجه مسلم، (١٦٠) باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) السيرة النبوية دروس وعبر، مصطفى السباعي، (ص:٢٠)

(٣) أثر الأخلاق في نجاح الداعية، محمد صالح المنجد، (محاضرة مفرغة).

المبحث السادس

آثار الأخلاق الفاضلة في المدعو المسلم

وفيه مطلبان:

لقد نال رعيل الأول من رجال الإسلام هم الصحابة الكرام رضى الله عنهم أعظم تشريف وأجمل تكريم حيث اختاراهم الله تعالى لصحبت نبيه صلى الله عليه وسلم.

إن مظاهر تأثر الصحابة رضي الله عنهم بالأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة ككثرة الصحابة أنفسهم، إذ ما من أحد ينال شرف الصحبة إلا خامر قلبه بالغ الحب وكامل الإعزاز والتعظيم لهذا النبي العظيم لما يرون فيه جمال المحاسن الأدبية والخلقية التي حمل الله تعالى بها.

فقد قال أنس رضى الله عنه إن رجلا من أهل البادية أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة قائمة قال : (ويلك وما أعدت لها)؟ قال ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله، قال (إنك مع من أحبت) قال أنس : فقلنا ونحن كذلك ؟ قال (نعم) قال: فرحنا يومئذ فرحا شديدا[١].

فإذا كان هذا الأعرابي البدوي قد خامر قلبه محبة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث جعل ذلك أرجى كان ما يقدم به على الله، وهو لم يشاهد من عظمة أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا النزر اليسير، و لم يخالطه إلا قليلا فكيف بمن كان كثير الملازمة له؟

فهذا زيد بن الدثنة رضي الله عنه يقول وقد اشرف على القتل والصلب لأبي سفيان الذي سأله : أيحب أن يكون في أهله ومحمد في مكانه تضرب عنقه؟ فأجاب بقوله : والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهله مما أدهش أبا سفيان بسبب هذه المحبة العظيمة فما ملك أن قال : (وما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا)[٢].

---

(١)متفق عليه ص : (٢١٦)

(٢)سيرة ابن هشام ٢٢٥/٣

المطلب الأول

الدلائل العملية لتأثر الصحابة بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم:

أما الدلائل العملية فمن اجل مظاهرها التضحية والفداء الذي كان يقوم به الصحابة الكرام في سبيل نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه، وشواهد ذلك كثيرة من أجلها المواقف التالية :

١- موقف علي رضى الله عنه ليلة الهجرة المباركة :

فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما عزم على الهجرة بعد أن أطلعه الله تعالى على ما تبيته قريش له في تلك الليلة، وأخبره جبريل أن لايبيت تلك الليلة على فراشه كي لا يفطن له الكمين التي أعدته قريش من خيرة شبابها ليضربوه ضربة رجل واحد، بنفسي هو وأبي وأمي فتقدم عليرضي الله عنه ، ونام على الفراش، وهو يدرك أن السيوف مصلتة تريد أن تهوى على الخارج من البيت لعلهم الجازم بأنه لا يخرج منه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

غير أنه لم يعبا بذلك وخاطر بنفسه ليقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من المكر الذي بيته أولئك الأشقاء لرسول السلام والإسلام والهداية والرحمة[١]

٢- وعن أنس بن مالك : أن المشركين لما أرهقوا النبي صلى الله عليه و سلم وهو في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش قال من يردهم عنا وهو رفيقي في الجنة فجاء رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل فلما أرهقوه أيضا قال من يردهم عني وهو رفيقي في الجنة حتى قتل السبعة فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لصاحبه ما أنصفنا إخواننا.[٢]

وهذا ضرب من الخلق العالي النبيل الذي يبديه رسول الله صلى الله عليه وسلم أسفا على هؤلاء الرجال الكرام .

٣- وعن أنس بن مالك قال: لما كان يوم أحد خاض أهل المدينة خيضة وقالوا: قتل محمد حتى كثرت الصوارخ في ناحية المدينة فخرجت امرأة من الأنصار محرمة فاستقبلت بأبيها وابنها وزوجها وأخيها لا أدري أيهم استقبلت به أولاً فلما مرت على أحدهم ص.١٦٦

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٢٢٣/٢.

(٢) أخرجه مسلم في الجهاد، باب غزوة أحد رقم الحديث ١٧٨٩ .

قالت : من هذا؟ قالوا: أبوك أخوك زوجك ابنك. تقول: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ يقولون: أمامك حتى دفعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بناحية ثوبه ثم قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا أبالي إذ سلمت من عطب.(١)

وهكذا كانت محبة الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، محبة فاقت محبة النفس والمال والولد والزوج والقريب ومحبة كل حبيب، فهل بعد هذه المحبة البالغة العظيمة محبة؟ وهل بعد هذا الجنان والعطف من نظير لهما في تاريخ البشرية كلها؟ هل كان شيء من ذلك بسبب رهبة أو خوف؟ كلا وإنما هي تأتي من طوع النفس في القلب لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظمة الخلق فجعلتهم ينزلونه تلك المنزلة العظمى الفذة الفريدة في التاريخ البشرية كله.

المطلب الثاني

الدلائل القولية لتأثر الصحابة بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم:

أما الدلائل القولية التي كان يفوه بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تعبيرا عن عظيم محبتهم لرسول الله فهي على ذلك النحو من الكمال والعظمة وهي من الكثرة أيضا ونذكر شيئا منها :

فمن ذلك قول سيدنا عمر رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم : "لأنتع يا رسول الله أحب إلى من كل شيء إلا نفسي، فقال له نبي الله صلى الله عليه وسلم : "لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك". فقال عمر رضى الله عنه : "فأنت الآن أحب إلي من نفسي" فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "الآن يا عمر" (٢)

فتأمل مدلول هذا الحوار تدرك أبعاد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قلب صاحبه الفاروق رضى الله عنه، حيث أطلع النبي عليه الصلاة والسلام على مكنون حبه له، ولما كان صريحا صادق اللهجة لم يكتمه أن حبه لنفسه كان فائقاً على محبة كل شيء سواها، غير أنه لم يبرح أن اضمحل حبة لنفسه عندما علم أن محبة النبي صلى الله عليه وسلم يجب

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي جـــ: ٦ ، ص:(٩٩).

(٢) رواه البخاري وتقدم تخريجه، ص : (١١٠٢).

أن تكون فائقة على محبة النفس وما سواها، وأنها لو كانت دون ذلك لم تكن نافعة ولا مقبولة، فأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما استقر في فؤاده من فائق محبه حتى على نفسه التي بين جنبيه، وعندئذ أعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بجدوى محبته له حينئذ.

ونحو ذلك ما روته عائشة رضى الله عنها قالت : جاء رجل (١) على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي، وإنك أحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك! فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية : مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٢)فتأمل مبلغ هذه المحبة التي كان يضمرها هذا الصحابي الكريم رضى الله عنهم، فقد جعلته يفكر ويديم التفكر في حاله بعد الموت، الذي يخشى عنده أن لا يرى النبي صلى الله عليه وسلم كما كان يفعل في الدنيا، لما يرى من افرق الهائل بين مترلته منه لو أنه دخل الجنة، فكيف به إذا لم يدخلها، فيرى أن أعظم أساه سيكون في عدم رؤية النبي صلى الله عليه وسلم، حتى وإن أنعم الله تعالى عليه يدخل الجنة، فإن عدم رؤيته له يشغله عن نعيمها ولا يكون منعما كما يحب إذا لم يكن يرى النبي صلى الله عليه وسلم.

وكانت محبة الصحابة كلهم على مثل هذا النحو البالغ عظمة.

ولا ريب فقد كان حديثوا العهد بالكفر عندما يشرق عليهم نور الإيمان لا يبرحون حتى يعلنوا للنبي صلى الله عليه وسلم بالغ محبتهم له :

١- فثمامة بن أثال الحنفي رضى الله عنه ما إن خالط بشاشة قلبه نور الإيمان بسبب المعاملة الحسنة من النبي صلى الله عليه وسلم التي لقيها أثناء أسره، والأخلاق العظيمة التي

---

(١) هو ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء مصرحا به في بعض الروايات.

(٢) سورة النساء، الآية: (٦٩).

رآها عليه، ما إن حصل له ذلك حتى قال للنبي صلى الله عليه وسلم : "يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فقد أصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد من أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي"[1]

٢- وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان التي كانت شديدة العداء والإيذاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي فعلت بحمزة بن عبد المطلب يوم أحد ما فعلت، لما أشرب قلبها الإيمان وخالط بشاشة قلبها، لم تلبث أن قالت : يا رسول الله ما كان مما على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلي أن يذلوا من أهل أخبائك، ثم ما أصبح اليوم أهل خباء أحب إلي من أن يعزوا من أهل خبائك..."[2]

٣- وعمرو بن العاص الذي كان أحد دهاة قريش وقوادها في حروبها مع النبي صلى الله عليه وسلم، لما هداه الله تعالى للإسلام وعرف عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه وأخلاقه وسماحة دينه، قال قولته المشهورة : "ما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له، ولو شئت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه..."[3]

وهكذا كان الصحابة الكرام رضوان الله عنهم يعبرون عن عظيم محبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم سواء في ذلك من كان له فضل سبق إلى الصحبة، أو هو حديث عهد بها، وذلك لما يلمسونه من جنابه العظيم من عظمة الأخلاق التي كانت تجعل من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه "فاكتسب حب الناس بأخلاقه، واجتذب قلوبهم بنبل تصرفاته، ونقل أعدى أعدائه من دياجير الكفر وطغيانه إلى رحاب الإيمان الفسيحة بتسامحه وكريم أفعاله"[4]

---

(١) متفق عليه تقدم تخريج القصة، ص : (١٣٨٧).

(٢) أخرجه البخاري في الإيمان، باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم (١٦٣/٨)، ومسلم في الأقضية، بابن قضية هند برقم (١٧١٤).

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان، باب كون الإيمان يهدم ما قبله برقم : (١٢١).

(٤) علموا أولادكم محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، للدكتور محمد عبده يماني، ص : (١٢٧).

المبحث السابع

آثار الأخلاق الفاضلة في المدعو غير المسلم

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول

: أثر هرقل من خلق النبي صلى الله عليه وسلم وصفته على صحة رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق دعوته:

لقد كان أخلاقه صلى الله عليه وسلم العظيمة أثر بالغ في جذب الناس على الإسلام تبين ذلك من عامة أخلاقه ولاسيما صبره وحلمه وعفوه ومنه... على كثير من الناس في مواقف كثيرة مناسبات عديدة فكانت عظمة أخلاقه صلى الله عليه سلم سببا مباشرا في إسلامهم وهدايتهم ، وما كان لهم أن يسلموا لو لم يتأثرون بتلك الأخلاق العظيمة، وذلك لما كانوا عليه من النفور والإباء والحمية الجاهلية فكانت معاملته لهم بتلك الأخلاق مفتاح هدايتهم.

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ قَالَ : أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَكَانُوا تُجَّارًا بِالشَّامِ ، فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ ، فَقَالَ : أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، فَقَالَ : أَبُو سُفْيَانَ فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا ، فَقَالَ : أَدْنُوهُ مِنِّي وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ فَوَاللَّهِ لَوْلاَ الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ قُلْتُ هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ ، قَالَ : فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ قُلْتُ : لاَ ، قَالَ : فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ : لاَ قَالَ فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَقُلْتُ بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ قَالَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ

قُلْتُ بَلْ يَزِيدُونَ ، قَالَ : فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ قُلْتُ : لاَ ، قَالَ : فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا ، قَالَ : قُلْتُ : لاَ ، قَالَ : فَهَلْ يَغْدِرُ قُلْتُ : لاَ وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لاَ نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا قَالَ وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ

قَالَ : فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ قُلْتُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ قَالَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ قُلْتُ يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللهِ وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ وَكَذَلِكَ أَمْرُ الإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لاَ تَغْدِرُ وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلاَةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ

فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ ، وَ{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا

إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لاَ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ ، وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} قَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا فَقُلْتُ لأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأَصْفَرِ فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الإِسْلاَمَ.

فهكذا استدل هرقل بما يعرفه من أخلاق النبيين وصفاتهم على صحة رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق دعوته، حيث وافق واقع حاله صلى الله عليه وسلم مع ما كان يعلمه من أحوال الأنبياء وصفاتهم، فصدق دعوته، وعلم أنه سيملك موضع قدميه، وتمنى أن يحظى بالقرب منه صلى الله عليه وسلم ليتشرف بغسل قدميه، وهو ملك قومه "ومن تأمل ما استقرأه هرقل من هذه الأوصاف تبين له حسن ما استوصف من أمره واستبرأه من حاله، ولله دره من رجل ما كان أعقله لو ساعدته المقادير بتخليد ملكه والإتباع" (١) غير أنه آثر مداراة قومه وشعبه فظل على شركه وكان من الخاسرين.

تلك الدلائل، ما كان معروفا به من أخلاق عظيمة في كتب أهل الكتاب، فقد سئل عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ممن يقرأ كتب أهل الكتاب فقال : "أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : يا أيها النبي إنا أرسلنا شاهداً مبشراً ونذيراً، وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا يخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله، ويفتح بها أعيناً عمياً صماً وقلوباً غلفاً" (٢)

المطلب الثاني

أثر صبره صلى الله عليه وسلم في جذب الناس إلى الإسلام:

أولا : صبره على إيذاء الكافرين :

(١) إرشاد الساري للقسطلاني : (٧٧/١).

(٢) أخرجه البخاري، في البيوع باب كراهية الصخب في الأسواق : (٨٧/٣).

لقد كان لصبره صلى الله عليه وسلم على قومه وأمة دعوته أعظم الأثر في إسلام كثير منهم، حيث لم يمل من دعوتهم و لم يتبرم من أذيتهم، بل ظل صابراً محتسباً يدعو إلى الله تعالى على بصيرة، ليلاً ونهاراً سراً، وجهاراً، لا يصده عن ذلك صاد، ولا يحول بينه وبين ذلك حائل، مع عظيم الإيذاء وجليل المخاطرة، وما كان له من عاصم يعصمه عن أن يختار تعجيل النكال بهم ومبادرتهم بطلب الاستئصال والعذاب إلا الصبر على ذلك، رجاء أن يسلموا، أو أن يخرج الله تعالى من أصلابهم مسلمين، كما كان يقوله صلى الله عليه وسلم [1] وقد حقق الله تعالى له ما رجاه، فلم يطل الزمن حتى أضحت مكة دار إسلام، وآمن قومه أجمعون، إلا من حقت عليه كلمة العذاب قبل أن يكون الفتح المبين.

و لم يمض وقت كبير حتى غدت جزيرة العرب كلها دار إسلام، وأهلها كلهم جنوده، و لم يأت وقت انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً وأضحت رايات الإسلام تخفق صوب الشام ومنها إلى أقطار الدنيا.

ثانيا: صبره على إيذاء المنافقين :

وكما كانت تلك آثار صبره على كفار مكة، فإن آثار صبره منافقي المدينة كانت نحو ذلك فائدة وثمرة، فقد ظل في المدينة من يوم هجرته إليها، يلاقي كيد المنافقين ودسائسهم الخبيثة وتربصهم المستمر به صلى الله عليه وسلم وبأصحابه ودعوته، لينقضوا عليهم فيبيدوهم ويمحوا آثارهم، كل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم مطلع على أخبارهم وأحوالهم بالإطلاع الله تعالى له على ذلك، فيغض الطرف عنهم ويصبر على خداعهم، ولطالما كانت تفوح رائحة النفاق من أحدهم فيجدها الصحابة الكرام رضى الله عنهم فيبادرون إلى طلب الإذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم في التصدي لهم أو له، وقطع دابره، واستئصال شأفته، فيأبى عليه الصلاة والسلام ذلك ويقول : "أخشى أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه" يعني فيكون صاداً لهم عن الدخول في الإسلام، فيغلب المصلحة الآجلة المتوقعة، على العاجلة بقطع دابر الفساد لما في الآجلة من خير كثير

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء : (١٤٠/٤).

يرجوه في إسلام الناس، ولما فيها أيضاً من رفيق بالمنافقين علمهم أن يتوبوا وقد تحقق له صلى الله عليه وسلم كلا الأمرين.

المطلب الثالث

أثر حلمه وعفوه صلى الله عليه وسلم:

ولقد كان لحلمه صلى الله عليه وسلم وعفوه من الأثر في جذب الناس إلى الإسلام، ما كان لصبره، بل كان حلمه وعفوه أسرع أثراً، وأوضح دلالة على ما للأخلاق الكريمة من ثمرات إيجابية كبيرة كما يتبين مما يأتي :

ومن صور ذلك : حلمه صلى الله عليه وسلم عمن كان يعد شيطان قريش لكثرة شره وجليل خطره! عمير بن وهب الجمحي، الذي تعاقد مع صفوان بن أمية في حجر الكعبة على أن يقوم عمير بأخذ الثأر من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتلي بدر، ولا سيما أمية بن خلف رأس الكفر بمكة وطاغي الطغاة المؤذيين للضعفاء، فتجهز عمير لذلك، بعد أن ضمن له صفوان قضاء دينه ومؤنة عياله، فصقل سيفه وسقاه سماً، وما لبث أن قدم المدينة يريد إنفاذ جريمته، غير أن سيدنا عمر رضى الله عنه فطن له، فأخذ بتلابيبه، وأمر الصحابة أن يحرسوا رسول الله صلى الله عليه وسلم منه. ثم أدخله عليه، فما أن رآه النبي صلى الله عليه وسلم حتى كشف له سر نفسه، وقال له : "ماذا شرطت لصفوان في الحجر؟ ففزع عمير وقال : ماذا شرطت له؟ قال : تحملت له بقتلي على أن يعول أولادك ويقضي دينك والله حائل بينك وبين ذلك" فقال عمير : أشهد أنك رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله.

المطلب الرابع

أثر كرمه صلى الله عليه وسلم في تأليف القلوب عليه:

أما أثر كرمه صلى الله عليه وسلم في تأليف القلوب عليه فقد كان بالغاً جداً، وذلك لخطر ما كان يعطي، وكامل رغبة المعطي في ذلك، كما قال أنس بن مالك رضى الله عنه: "إن الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا إلا فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها" يعني لما يجده من حسن معاملة النبي صلى الله عليه وسلم وبالغ كرمه.

ويدل على ذلك عطاؤه العظيم في غزوة حنين ، حيث كان يعطي الرجل غنماً بين جبلين فيرجع إلى قومه فيقول : يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء لا يخشى الفاقة[١] وكان من أولئك صفوان بن أمية، والأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن... وغيرهم حتى قال صفوان : "لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إلي، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي"[٢]

ولقد قصر عطاءه في هذا اليوم الذي بلغ فيه المال مبلغاً عظيماً لم يبلغه مثله من قبل، فصره على المؤلفة قلوبهم من الطلقاء ونحوهم، ومنعه من قد وثق بإسلامهم وإيمانهم من المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم، وذلك ليتألف به هؤلاء كما قال عليه الصلاة والسلام لما بلغة ارتياب حديثي الأسنان من الأنصار في ذلك، لما لم يدركوا السر الذي يهدف إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : "إني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم" ثم قال : "أفلا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وترجعون إلى رحالكم برسول

---

(١) كما جاء في حديث مسلم، برقم عام (٢٣١٢).

(٢) أخرجه مسلم، برقم : (٢٣١٣).

الله صلى الله عليه وسلم فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به فقالوا : بلى يا رسول الله قد رضينا.."[1]

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة الطائف (٥/٢٠٠)، ومسلم في الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، وتصبر من قوي إيمانه برقم : (١٠٥٩).

الخاتمة

وفيها : خلاصة البحث :

الحمد لله وكفى وصلاة وسلاما عباده الذين اصطفى، وعلى سيدنا محمد النبي المقتفي، وآله وصبحه ومن اهتدى.

وبعد: قد ناولت بإذن الله تعالى الموضوع القصير وهو ارتباط الأخلاق الفاضلة بالدعوة، فمن خلال هذا البحث الوجيز، وجدت في القرآن الكريم والسنة المطهرة أن الأخلاق والدعوة بينهما علاقة وثيقة جدا، أنهما متلازمان لا ينفك أحدهما الأخر، ففي بحثي هذا قد بينت علاقة بين الأخلاق والدعوة، فأن الأخلاق هو مقاصد الدعوة إلى الله تعالى كما قال تعالى:(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) فسرها المفسرون خلق عظيم أي : دين عظيم، وقول النبي صلى الله عليه وسلم (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) حصر سبب بعثته صلى الله عليه وسلم هو إتمام مكارم الأخلاق، وأن الأخلاق هو وسيلة الدعوة التي استخدم النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته في مواقف متعددة لقد كان حلمه صلى الله عليه وسلم وعفوه وصبره وصدقه وأمانته وصدق عهده من الأثر في جذب الناس إلى الإسلام، ففي فتح مكة عفا المشركين فدخلوا الناس في الإسلام أفواجا، والخلق الفاضل من أبرز مقومة الداعية كالإخلاص والمتابعة والعلم والصبر ... والخلق الفاضل هو أهم أسباب نجاح الداعية في دعوته وانتشار الإسلام في العالم وجذب الناس إلى الإسلام فإذا يجب على الدعاة إلى الله أن يتحلى بمكارم الأخلاق في دعوتهم وبالله التوفيق.

أهم نتائج البحث :

ومن أبرز ما تجلى لي في هذا البحث المختصر من نتائج ما نسطره في النقاط التالية:

١- اهتما م القرآن الكريم البالغ بالأخلاق بحيث بلغ العدد الإجمالي لآيات الأخلاق نحو الربع من عدد آيات القرآن الكريم كله.

٢- أن الأخلاق في الشريعة الإسلامية هي إحدى أصوله الأربعة وهي على الترتيب : (الإيمان، والأخلاق، والعبادات، والمعاملات).

٣- أن عناية القرآن الكريم بالأخلاق كانت من فجر الرسالة النبوية، كما تبين لنا من تأمل (القرآن الكريم المكي) حيث يدور على أصلي : الإيمان والأخلاق.

٤- أن من غايات بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم تزكية أخلاق الأمة كما نطقت بذلك آيات كثيرة وأحاديث شهيرة منها قوله تعالى : كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ [١]وقوله صلى الله عليه وسلم (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[٢]

٥- الدعوة والأخلاق صنوان متلازمان لا ينفك أحدهما عن الأخر، فلا تصح الدعوة إلا بالأخلاق الفاضلة.

٦- الخلق الفاضل هو مقصود الدعوة وموضوعها وغايتها ووسيلتها.

توصيات البحث :

على هذا الضوء كان لابد لي من إبداء بعض المقترحات والتوصيات لزملائي والدعاة إلى الله تعالى : سأبين بعض المقترحات والتوصيات الآتية :

١- يجب لعامة المسلم أن يتحلى بالأخلاق الفاضلة وبخاصة الدعاة إلى الله تعالى.

٢- الداعي إلى الله يتعلم الأخلاق الفاضلة كما يتعلم العلوم الإسلامية.

٣- أن يكون للأخلاق الإسلامية العظيمة نصيب من العناية الكبرى في مناهج الدعوة.

٤- أن يكون للأخلاق الإسلامية العظيمة نصيب من العناية الكبرى في وسائل الدعوة.

٥- الدعوة والأخلاق ينطلق في منطلق واحد لا يؤخر أحدهما الآخر.

٦- على الداعي إلى الله يدعو الناس بالخلق الحسن فإنه أكثر تأثيرا في جذب الناس إلى الإسلام.

والحمد لله رب العالمين بدءا وختاما ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) سورة البقرة، الآية: (١٥١).

(٢) وهذا لفظ البزار كما حكاه عنه الهيثمي في المجمع .

قائمة المصادر والمراجع

١ – الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة إلى الله ، في ضوء الكتاب والسنة ، لدكتور أحمد بن نافع بن سليمان المورعي ، الطبع الأولي ١٤١٨ هـــ ١٩٩٧ م ، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع.

٢ – الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر ،لـــ أ.د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي، الطبع الثانية ١٤٣١هـــ/ ٢٠١٠م دار الحضارة للنشر والتوزيع .

٣ – هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنا حقا، لـــ محمود محمد الخزندار، دار الطيبة للنشر والتوزيع، الطبع الأولى ١٤٢٠هـــ ١٩٩٩م .

٤- أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة ، لـــ الدكتور أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد،الطبع الأولى ١٩٩٦م، دار الغرب الإسلامي.

٥- أصول الدعوة إلى الله – فضيلة الشيخ/ عبد الرحمن بن عبد الخالق.

٦- أصول الدعوة، لـــ الدكتور عبد الكريم زيدان،مكتبة المنار الإسلامية ١٤٠١هـــ

٧- المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله، لـــ أ. د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الطبع الأولى ١٤٢٤ هـــ/ ٢٠٠٣ م، الناشر مكتبة العلوم والحكم.

٨- أخلاق النبي، لأبي الشيخ الأصبهاني المؤلف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني (٣٦٩ هـــ).

٩- مختصر صفة الصفوة لابن الجوزي، إعداد : أبو أحمد معتز أحمد عبد الفتاح.

١٠- لسان العرب، لابن منظور المؤلف : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري الناشر : دار صادر بيروت، الطبعة الأولى، عدد الأجزاء : ١٥.

١١- القاموس المحيط، المؤلف : محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، عدد الأجزاء : ١

١٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر : دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩تحقيق : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي عدد الأجزاء : ١٣.

١٣- معجم مقاييس اللغة، المؤلف : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق : عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، الطبعة : ١٣٩٩هـــ - ١٩٧٩م ،عدد الأجزاء : ٦.

١٤- الصحاح في اللغة، المؤلف : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفرابي.

١٥- أساس البلاغة، المؤلف : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله.

١٦- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢ه عدد الأجزاء: ١٨

١٧- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المؤلف : محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا.

١٨- شرح سنن أبي داود، المؤلف : عبد المحسن العباد.

١٩- الأخلاق الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن حبنكة الميداني، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـــ، دار القلم دمشق.

٢٠- الأخلاق في الإسلام د. عبد اللطيف محمد العبد الطبعة الثانية١٤١٩هـــ دار التراث المدينة المنورة.

٢١- الرحيق الختوم لصفي الرحمن المباركفوري، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـــ دار القلم، بيروت.

٢٢- سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، بتحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين الطبعة الثانية ١٣٩٨هـــ، مصطفى الحلبي،القاهرة.

٢٣- صفات الداعية أ.د. حمد ناصر العمار، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـــ، دار إشبيليا الرياض.

٢٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـــ، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٥- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، الطبعة الأولى ١٣٨١هـــ،مكتبة البابي الحلبي، القاهرة.

٢٦- مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ، دار الأندلس الخضراء، جدة.
٢٧- تبصرة الهداة بشأن الدعوة والدعاة، فضيلة الشيخ عبد الله بن صالح القصير، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ

فهارس الموضوعات:

رقم	الموضوعات	الصفحات
١	المقدمة	٢
٢	تعريف الأخلاق لغة واصطلاحا	١٠
٣	مفهوم الأخلاق في القرآن الكريم	١١
٤	مفهوم الأخلاق في السنة المطهرة	١٣
٥	تعريف الدعوة لغة واصطلاحا	١٦
٦	مفهوم الدعوة في القرآن الكريم	١٧
٧	مفهوم الدعوة في السنة المطهرة	١٩
٨	ارتباط الأخلاق الفاضلة بالدعوة	٢٢
٩	الخلق الفاضل من مقاصد الدعوة	٢٢
١٠	حض النبي صلى الله عليه وسلم أمته على التحلي بمكارم الأخلاق	٢٤
١١	الخلق الفاضل وسيلة من وسائل الدعوة مثل الصدق، البذل، الكرم، الشجاعة...،	٢٦
١٢	الصدق	٢٧
١٣	الأمانة	٢٩
١٤	خلق الوفاء	٣٠
١٥	الخلق الفاضل أبرز مقومات الداعية مثل الإخلاص، المتابعة، الصبر...،	٣٢
١٦	الإخلاص	٣٣
١٧	التقوى	٣٤

١٨	الصبر	٣٥
١٩	الحلم والأناة	٣٦
٢٠	الرفق	٣٧
٢١	العفو والإعراض	٣٧
٢٢	التواضع وعدم الكبر	٣٨
٢٣	أثر الأخلاق الفاضلة في نجاح الداعية	٣٩
٢٤	الدعاة ألزم الناس بالأخلاق الفاضلة	٤٠
٢٥	استقامة الداعية وحسن سيرته أدعى إلى نجاحه في دعوته إلى الله	٤٠
٢٦	صاحب الأخلاق الحسنة قدوة بذاته	٤١
٢٧	آثار الأخلاق الفاضلة في المدعو المسلم	٤٢
٢٨	الدلائل العملية لتأثر الصحابة بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم	٤٣
٢٩	الدلائل القولية لتأثر الصحابة بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم	٤٤
٣٠	آثار الأخلاق الفاضلة في المدعو غير المسلم	٤٧
٣١	أثر هرقل من خلق النبي صلى الله عليه وسلم وصفته على صحة رسالة رسول الله عليه وسلم وصدق دعوته	٤٧
٣٢	أثر صبره صلى الله عليه وسلم في جذب الناس إلى الإسلام	٤٩
٣٣	أثر حلمه وعفوه صلى الله عليه وسلم	٥١
٣٤	أثر كرمه صلى الله عليه وسلم في تأليف القلوب عليه	٥٢
٣٥	الخاتمة	٥٣
٣٦	خلاصة البحث	٥٣
٣٧	أهم نتائج البحث	٥٣
٣٨	توصيات البحث	٥٤
٣٩	قائمة المصادر والمراجع	٥٥
٤٠	فهارس الموضوعات	٥٧